

الحلقة الستون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تحدثت عن الطريقة المثلى لتربية الأولاد. والحرص لكي لا نستدين من الآخرين، لأن ذلك سيجلب علينا الإهانة. وأيضاً تحذير الشاب من الوقوع في حبال المرأة الزانية، التي ستسقطه في هوة عميقة، وتسبب له خراب حياته.

هل تقبل صديقي دعوة أي شخص لك؟ فهناك أناس محبوبون يرغب المرء أن يجالسهم ويختلط بهم. وفي المقابل هناك أناس لا يحب الناس معاشرتهم، وذلك لأنهم أناس فاسدين، يهدفون إلى الشر، ولا يريدون الخير، ولهذا علينا أن نتجنبهم. وهو ما نبهنا إليه أحد الحكماء عندما كتب قائلاً: "لا تأكل من خبز رجل بخيل، ولا تشته أطايبه. لأنه يفكر دائماً في الثمن. يقول لك كل واشرب إلا أن قلبه يكن لك غير ذلك. فتتقيأ اللقم التي أكلتها وتذهب كلمات إطرائك سدى." وكتب أيضاً: "إذا جلست تأكل مع حاكم فتأمل أشد التأمل في ما هو أمامك... لا تشته أطايبه لأنها أطعمة خادعة." (أمثال ٢٣: ٦-٨، ٣، ١)

من المهم جداً قبل أن نقبل دعوة أحدهم إلينا، أن نتأكد من أنه إنسان مضياف وصادق، ولا توجد لديه نوايا خادعة وخفية. لأن الأكل مع الإنسان البخيل أو الشرير وكذا المتسلط، سيبدو للآخرين وكأننا نشاركه في خبثه، ونشجعه على سلوك طريق الكذب والخداع. وليس هذا فحسب، بل ستكون له نتائج غير حميدة علينا نحن أيضاً. إذ كما قال الحكيم فإننا سنندم على الأكل معه. فهو وإن دعانا لمشاركته في الطعام، لكنه سيجعلنا ندفع الثمن غالباً مقابل هذه الدعوة. ندفع الثمن من أموالنا وحتى من سمعتنا، لأنه إنسان متعجرف وشرير ويريد الإيقاع بنا.

ثم حذرنا الحكيم حتى من الحديث مع الناس الجهال. فكتب قائلاً: "في أدني جاهل لا تتكلم لأنه يحتقر حكمة كلامك." (أمثال ٩: ٢٣) إن الشخص الجاهل لا يقدر كلام الإنسان الصادق والحكيم، لا بل يحتقره ويحاول الاستهزاء به. ولهذا نصحنا الحكيم أن لا نتحدث معه.

ثم أوصانا قائلاً: "وجّه قلبك إلى الأدب وأذنيك إلى كلمات المعرفة. يا ابني إن كان قلبك حكيماً يفرح قلبي أنا أيضاً، وتبتهج كليتي إذ تكلمت شفتاك بالمستقيمات. لا يحسدن قلبك الخاطئين بل كن في مخافة الرب اليوم كله. لأنه لا بد من ثواب ورجاؤك لا يخيب. اسمع أنت يا ابني وكن حكيماً وأرشد قلبك في الطريق." (أمثال ٢٣: ١٢، ١٥-١٩) أوصى الحكيم الشاب إذن أن يوجّه قلبه نحو الأدب وكلمات المعرفة، وأن يهتم بالحكمة الحقّة ويتكلّم بالصدق، وأن لا يغر من الناس الخطاة بل يسلك في مخافة الرب الله. أما النتيجة فستكون أن الرب يباركه، ورجائه لا يخيب. ودعا الشاب في الختام أن يكون حكيماً، وأن يرشد قلبه نحو طريق الحق.

لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكان الشاب أن يوجّه قلبه نحو الأدب وكلمات المعرفة في عالم مليء بالاغراءات الكثيرة؟ وكيف به يهتم بالحكمة ويتكلّم بالصدق في مجتمع مليء بالنفاق والكذب؟ وهل باستطاعته أن لا يغر من الناس الخطاة بالرغم من نجاحهم في الحياة؟ والسلوك في مخافة الرب؟

إن الجواب عن أسئلة هامة كهذه بسيط وواضح. فعندما يأتي الشاب بإيمان قلبي إلى مصدر الحكمة والمعرفة المخلص المسيح، يستطيع عندها فعلاً أن يوجّه قلبه نحو الأدب، ويحصل على المعرفة التي تضيء أمامه الطريق، ويغدو بالتالي حكيماً يتكلّم بالصدق مع الآخرين. وليس هذا فحسب بل يمتلك الحكمة والقناعة، التي تجعله يميّز بين النجاح الحقيقي في الحياة نتيجة الجهد والعمل، وبين النجاح المزيف الذي قد يحصل عليه البعض نتيجة الكذب والنفاق. فيقتدي بأولئك ولا يحسد هؤلاء. وهكذا يقود قلبه في الطريق القويم، ويحصل على بركات الله المتنوعة، فلا يخيب رجاءه.

هل تعلم مستمعي أن من أهم مميزات الشخص الحكيم هو أن يبتعد عن كل المزالق التي تفسد حياته؟ وهل تعلم أيضاً أن سعي الإنسان نحو الغنى وتحصيل المال الكثير هو من هذه المزالق التي قد تخرّب حياته وتدمرها في أحيان كثيرة؟

كتب الحكيم قائلاً: "لا تشقّ طلباً للشراء. اكبح جماح نفسك بفضل فطنتك. ما تكاد تتألق عيناك حبوراً به حتى يتبدد، إذ فجأة يصنع لنفسه أجنحة ويطير كالنسر محلّقاً نحو السماء." (أمثال ٢٣: ٤ و ٥) إنه بالفعل وصف دقيق للإنسان الذي يسعى نحو الغنى بأي ثمن كان. وكما يقال في العامية إن المال الذي يأتي بالحرام وبسهولة يذهب أيضاً بسهولة. فما يكاد المرء يُسرر بالمال الوفير الذي حصل عليه، حتى يراه يذوب ويختفي من بين يديه. وكما قال المثل هنا: يصنع لنفسه أجنحة ويطير كالنسر محلّقاً في الفضاء. أو ليس هذا ما يحصل مع الكثيرين؟

لكن الأمر لن يتوقف عند هذا الحد، لأن السعي نحو الغنى يوقع الإنسان في مزالق كثيرة. وهو ما تحدّث به الرسول بولس بعدئذ إذ أكّد قائلاً: "أما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة. لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء. فأن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما." ثم أضاف قائلاً: "وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تُغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة." (تيموثاوس ٦: ٦-١٠)

واضح من كلام الرسول بولس أن الإنسان الذي يسعى لكي يصبح غنياً وبأي ثمن، لا بد أن يوقع نفسه في الفخ، أي في المصيدة. فهو يؤذي نفسه والناس المحيطين به، ويؤدي به إلى الابتعاد عن الإيمان الحقيقي. والسبب لأن محبة المال هي مصدر كل الشرور أو المآسي التي تصيب الإنسان. لهذا دعانا الرسول بولس أن نعيش بالتقوى ونكون قنوعين وأن نكتفي بما عندنا، لأننا عندما وُلدنا لم يكن معنا أي شيء، وكذلك عندما نذهب من الحياة لن نأخذ معنا شيئاً. وهذا لا يعني أن لا نكون طموحين ونسعى نحو الأفضل. لكن أن نجنب أنفسنا الانزلاق وراء محبة المال، والسعي لكي نكون أغنياء. ثم نصحنا الرسول بولس أن نهرب من محبة المال وأن نتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة. فهل تراك مستمعي تهرب من محبة المال والسعي وراءه؟ وهل تعيش حياة التقوى الحقيقية مع الله عن طريق المخلص المسيح؟ وهل أنت مكتف بما عندك؟

إذا كنت لم تختبر حتى الآن خلاص الله ونعمته، فأنت تستطيع الآن أن تأتي إليه بالتوبة والإيمان بالمخلص المسيح. فهو الوحيد القادر أن ينفذك من عبودية الخطية، ويجعلك إنساناً جديداً تبتعد عن كل ما هو فاسد ومؤذي لحياتك. فهل تراك تفعل فتتقد نفسك؟